الكشاف

عن

حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل

في وجوه التأويل

للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري

(٤٦٧-٥٣٨ هـ)

تحقيق وتعليق ودراسة

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود — الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه

الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي

أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

الجزء الثالث

مكتبة العبيكان

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب. ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ - فاكس ٤٦٥٠١٢٩

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

مَكِّيَّةٌ [إلاَّ الآيَاتِ ٢٦ و٣٢ و٣٣ و٥٧، وَمِنْ آيَةِ ٧٣ إِلَىٰ غَايَةِ آيَةِ ٨٠ فَمَدَنِيَّةٌ] وَآيَاتُهَا ١١١ [نَزَلَتْ بَعْدَ القَصَصِ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ①﴾

﴿سُبْحَٰنَ﴾: علم للتسبيح كعثمان للرجل، وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره، تقديره: أسبح الله سبحان، ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسدّه، ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها إليه أعداء الله[١]، و﴿أَسْرَىٰ﴾: وسرى لغتان، و﴿لَيْلًا﴾: نصب على الظرف.

فإن قلت: الإسراء لا يكون إلا بالليل، فما معنى: ذكر الليل[٢]؟

---

(١) قوله: «القبائح التي يضيفها إليه أعداء الله» يريد بهم أهل السنة القائلين بأنه تعالى هو الخالق لجميع الحوادث من أفعال العباد وغيرها، خيراً كانت أو شراً، خلافاً للمعتزلة في قولهم: إن العبد هو الخالق لفعل نفسه حتى يكون مقدوراً له، فيصح تكليفه به، ولكن استند أهل السنة لمثل قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ⑨⑥﴾ وهذا لا ينافي اختيار العباد في أفعالهم، لأنهم أثبتوا لهم الكسب فيها، كما تقرر في علم التوحيد (ع).

(٢) قال محمود: «فإن قلت: الإسراء لا يكون إلا بالليل، فما معنى ذكر الليل... إلخ»؟ قال أحمد: وقد قرن الإسراء بالليل في موضع لا يليق الجواب عنه بهذا، كقوله ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ وكقوله تعالى ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا﴾ فالظاهر ـ والله أعلم ـ أن الغرض من ذكر الليل وإن كان الإسراء يفيده تصوير السير بصورته في ذهن السامع، وكأن الإسراء لما دل على أمرين، أحدهما: السير، والآخر: كونه ليلاً. أريد إفراد أحدهما بالذكر تثبيتاً في نفس المخاطب، وتنبيهاً على أنه مقصود بالذكر. ونظيره في إفراد أحد ما دل عليه اللفظ المتقدم مضموماً لغيره قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ فالاسم الحامل للتثنية دال عليها وعلى الجنسية، وكذلك المفرد، فأريد التنبيه لأن أحد المعنيين وهو التثنية مراد مقصود، وكذلك أريد الإيقاظ؛ لأن الوحدانية هي المقصودة في قوله ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ولو اقتصر على قوله (إنما هو إله) لأوهم أن المهم إثبات الإلهية له، والغرض من الكلام ليس إلا الإثبات للوحدانية، والله أعلم.

قلت: أراد بقوله: (ليلاً) بلفظ التنكير: تقليل مدّة الإسراء، وأنه أسري به في بعض الليل من مكة إلى الشأم مسيرة أربعين ليلة؛ وذلك أنّ التنكير فيه قد دلّ على معنى البعضية؛ ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة: «من الليل»، أي: بعض الليل؛ كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً﴾ [الإسراء: ٧٩]، يعني: الأمر بالقيام في بعض الليل، واختلف في المكان الذي أسري منه فقيل: هو المسجد الحرام بعينه، وهو الظاهر، وروي عن النبي ﷺ: «بَيْنَا أَنَا فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ فِي الحِجْرِ عِنْدَ البَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَاليَقْظَانِ إِذْ أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِالبُرَاقِ» (٨٤٦)، وقيل: أسري به من دار أم هانىء بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام: الحرم؛ لإحاطته بالمسجد والتباسه به، وعن ابن/ ١٩٨أ عباس: الحرم كله مسجد، وروي أنه كان نائماً في بيت أم هانىء بعد صلاة العشاء فأسري به[1] ورجع من ليلته، وقص القصة على أم هانىء، وقال: «مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج إلى المسجد فتشبثت أم هانىء بثوبه فقال: مالك؟ قالت: أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم، قال: وإن كذبوني، فخرج فجلس إليه أبو جهل فأخبره رسول الله ﷺ بحديث الإسراء، فقال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي، هلم فحدّثهم، فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً، وارتد ناس ممن كان قد آمن به، وسعى رجال إلى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فقال: إن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أتصدقه على ذلك؟ قال: إني لأصدقه على أبعد من ذلك (٨٤٧)؛ فسمي الصدّيق، وفيهم من

---

٨٤٦ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٤٤٥) ـ كتاب بدء الخلق (٥٩) ـ باب ذكر الملائكة عليهم السلام (٦) ـ (٣٢٠٧). ومسلم (١/ ٤٩٠ ـ نووي) ـ كتاب الإيمان (١) ـ باب الإسراء برسول الله ﷺ (٢٦٤) والترمذي (٥/ ٤٤٢) ـ كتاب تفسير القرآن (٤٨) ـ سورة «ألم نشرح» (٣٣٤٦) مختصراً والنسائي (١/ ٢١٧) ـ كتاب الصلاة (٥) ـ باب فرض الصلاة ـ (٤٤٨). وفي الكبرى (١/ ١٣٨) ـ كتاب الصلاة الأول (٢) ـ باب فرض الصلاة (١) ـ (٣١٣) وابن خزيمة في صحيحه (١/ ١٥٣) ـ كتاب الصلاة ـ باب بدء فرض الصلوات الخمس (٣٠١).

وقال الحافظ في الكشاف: متفق عليه من حديث مالك بن صعصعة مطولاً. انتهى.

٨٤٧ ـ قال الحافظ ابن حجر: ذكره الثعلبي عن ابن عباس بغير سند، وكأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه.

وأخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨) ـ كتاب التفسير ـ سورة الإسراء ـ (١١٢٨٥) من طريق عوف بن أبي جميلة عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس مرفوعاً «لما كان ليلة أسري. . »

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٧٦ ـ ٧٧) ـ كتاب معرفة الصحابة ـ من حديث عائشة وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٤٣٢) (١٠٥٩)، وابن سعد في الطبقات (١/ ١٦٦ ـ ١٦٧) كلاهما من حديث أم هانئ من طرق مختلفة. وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٥٨) لأبي يعلى الموصلي في مسنده ولم أجده، فلعله من المفقود ـ والله المستعان ـ.

ونقل الزيلعي عن ابن دحية في كتابه المسمى «بالتنوير في مولد السراج المنير» قال: وقد ورد =

سافر إلى ماثمّ، فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس، فطفق ينظر إليه وينعته لهم، فقالوا: أمّا النعت فقد أصاب، فقالوا: أخبرنا عن عيرنا، فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها، وقال: تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس، يقدمها جمل أورق، فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية، فقال قائل منهم: هذه والله الشمس قد شرقت، فقال آخر: وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد، ثم لم يؤمنوا وقالوا: ما هذا إلا سحر مبين، وقد عرج به إلى السماء في تلك الليلة، وكان العروج به من بيت المقدس وأخبر قريشاً ـ أيضاً ـ بما رأى في السماء من العجائب، وأنه لقي الأنبياء، وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى، واختلفوا في وقت الإسراء، فقيل: كان قبل الهجرة بسنة، وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعث، واختلف في أنه كان في اليقظة أم في المنام، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: «والله، ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن عرج بروحه» (٨٤٨)، وعن معاوية: إنما عرج بروحه، وعن الحسن: كان في المنام رؤيا رآها، وأكثر الأقاويل بخلاف ذلك، والمسجد الأقصى: بيت المقدس؛ لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد، ﴿بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾: يريد بركات الدين والدنيا؛ لأنه متعبد الأنبياء من وقت موسى ومهبط الوحي، وهو محفوف بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة، وقرأ الحسن: «ليريه»: بالياء، ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم، فقيل: أسرى ثم باركنا ثم ليريه، على قراءة الحسن: «ثم من آياتنا»، «ثم إنه هو»، وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوال محمد ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾: بأفعاله، العالم بتهذبها وخلوصها، فيكرمه ويقرّبه على حسب ذلك.

= حديث الإسراء من رواية عمر بن الخطاب، وعلي، وابن مسعود، وأبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي هريرة، وأبي سعيد، وابن عباس، وشداد بن أوس، وأبي بن كعب، وعبد الرحمن بن قرط، وأبي حبة، وأبي ليلى الأنصاري، وعبد الله بن عمرو، وجابر الأنصاري وحذيفة وبريدة، وأبي أيوب، وأبي أمامة وسمرة بن جندب وأبي الحمراء، وصهيب الرومي وعائشة وأختها أسماء، وأم هانئ. منهم من رواه بطوله ومنهم من اختصره. أ.هـ

٨٤٨ ـ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/١٦) (٢٢٠٣٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٨٨) لابن إسحاق، وذكره ابن هشام في سيرته (٢/٧)، وابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ١١٠).
قلت: وهذا متن منكر، فقد صحت الروايات المرفوعة والموقوفة بالإسراء جسداً وروحاً.
وقال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف:
ذكره الثعلبي عن ابن عباس بغير سند، وكأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه، ثم رأيته من رواية جرير عن الضحاك عن ابن عباس. أخرجه الحاكم والبيهقي عنه، لكن لم يسبق لفظه. وقد رواه النّسائي باختصار عن هذا من رواية عوف عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس، وأورده ابن سعد وأبو يَعلى والطبراني من حديث أم هانئ مطولاً. انتهى.